عقيدة
التوحيد الكبرى
في عقائد أهل السنة والجماعة

الطبعة الثانية؛ مزيدة ومصححة

تصنيف:
العلامة المحقق الشيخ
محمد المكي بن عزوز المغربي المالكي
(م. 1334 هـ)
رحمه الله

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده وأتم الصلاة وأزكى السلام على رسوله وعبده؛ سيدنا محمد وآله وصحبه.

أما بعد؛ فإن العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزوز رحمه الله يعد أحد أعلام المالكية الكبار:

ولد سنة (1270هـ) بنفطة التونسية، اعتنى به والده وأحسن تربيته، وقد أخذ عن عدد كبير من الشيوخ تجاوز عددهم (65) فيما ذكره الكتاني، "وهذه الكثرة نادرة عن المتأخرين".

منهم: أحمد السنوسي كبير مفاتي قفصة، وشيخ الإسلام حميدة بن الخوجة التونسي، ومسند الجزائر علي بن أحمد، ومحمد بن جعفر الكتاني ووالده جعفر بن إدريس، وعبد الجليل برادة، وعالم مراكش محمد بن إبراهيم السباعي.

تصدر للتدريس ببلده، وولي الإفتاء عام (1297هـ)، وهو ابن (26) سنة، ثم ولي القضاء بها أيضا.

ثم رحل إلى الآستانة سنة (1313هـ) وتولى تدريس الحديث في دار الفنون واستمر إلى أن توفي بها.

قـــال الكتاني: "هذا الرجل كان مسند أفريقية ونادرتها، لم نر و لم نسمع فيها بأكثـــر اعتـــناء منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة ومزيد تبحر في بقية العلوم والاطـــلاع علـــى الخـــبايا والغرائب من الفنون والكتب والرحلة الواسعة وكثرة الشيوخ، إلى طيب منبت وكريم أرومة...، ومن المطلعين على الأفكار العصرية".

توفي رحمه الله في ثاني صفر عام (1334هـــ) في إسطنبول.

له مؤلفات ناهزت التسعين؛ منها: (مغانم السعادة في أن العلم أفضل أنواع العبادة) و(فتح الخلاق في استكمال الإسلام لمحاسن الأخلاق) و(طريق الجنة في تحلـــية المؤمنات بالفقه والسنة) و(صادق النبا في عقوبة صاحب الربا) و(رفع الـــتراع في بـــيان معنى التقليد ومعنى الاتباع) و(نظم الجغرافية التي لا تتحول بمغالبة الدول)..[1]

ومن درر مصنفاته، ونفيس مؤلفاته؛ جزء سماه: {**عقيدة التوحيد الكبرى في عقائـــد أهـــل الـــسنة والجماعة**}، بين فيه هذا الموضوع المهم (العقيدة)

[1] راجع ترجمته المفصلة في: (فهرس الفهارس) للكتاني رقم (490)، و(شجرة النور الزكية) لمحمد بـــن مخلـــوف رقـــم (1683)، و(الأعلام) للزركلي (109/7)، و(الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي) (ص.101–107).

بأســـلوب شيق، وتحرير علمي جيد، ومعالجة شرعية عقلية لمسائل طرحت في العصر الحديث لها ارتباط بمباحث العقيدة[2].

والعقيدة علم جليل يكتسي أهميته من منطلق كونه طريقا وحيدا لمعرفة العبد مُـــوجِدَه وعلة وجوده ومنشأه ومآله، وهي قضايا كبرى تشغل بال كل عاقل منـــصف، ولا سبيل إلى إدراكها إدراكا صحيحا إلا بتتبعها في مصدر المعرفة الوحـــيد المتـــضمن لها؛ وهو الوحي الإلهي المضمَّن في القرآن الكريم والسنة المشرفة، وهو ما قام به هذا العالم الجليل من خيرة علماء القطر المغربي.

وهكـــذا فقـــد أبرز في هذا المصنف عقائد[3] أهل السنة والجماعة القائمة علـــى دلائل الوحي كتابا وسنة، مجانبا عقائد أهل البدع والأهواء من خوارج ومعتزلة ومرجئة وقدرية وأهل الكلام، مع الرد على الملاحدة ودفع شبهاتهم.

ولقـــد طُـــبعت[4] هذه الدرة النفيسة بعناية الدكتور محمد رشيد بوغزالة الجزائـــري شكر الله سعيه، وقد حلاها بشرح مفيد، ومقدمة قيمة، كما ذيلها

---

[2] ما أحوجنا إلى معرفة واستحضار العقيدة التي جاء بها الوحي العزيز في زمن الماديات الذي ابتلينا به.

[3] ذكر أكثر مباحث العقيدة، إلا أنه لم يستوعب.

[4] طبعته مؤسسة الريان طبعته الأولى عام: (1429هـــ / 2008م).

بمـــتن: **{عقيدة التوحيد الصغرى}**، وهو عبارة عن مختصر للعقيدة الكبرى، اختصره المؤلف نفسه.

واعـــتمد المحقـــق في عمله على نسخة خطية كتبت في حياة المؤلف بخط مغـــربي جـــيد، محفوظة بمكتبة جامع سيدي خليفة الكائن بولاية ميلة بالشرق الجزائري.

ونظـــرا لمـــا لهـــذا المصنف من الأهمية، والحاجة إلى تداوله قراءة وحفظا وتدريسا؛ فقد استحسنت تقريبه لعموم المهتمين بالموضوع من المشايخ وطلبة العلم وسائر المسلمين.

ويتلخص عملي في هذه الرسالة فيما يلي:

1- استللت نصه من الشرح المطبوع وشكلته لتيسير قراءته.

2- طبعته مجردا عن الشرح لتسهيل تداوله وحفظه.

3- عـــزوت الآيات، وعلقت على مواطن يسيرة تستلزم التوضيح متوخيا الاقتضاب[5].

[5] ولي عليه تعليقات أوسع، أحليه بها في طبعة قادمة إن شاء الله تعالى.

4- طبعته في حلة بهية للترغيب في اقتناءه والاستفادة منه.

5- قدمت له بمقدمة تعريفية.

وفي الخـــتام أســـأل الكـــريم الرحيم أن يثيبني –ومن شارك معي في هذا العمل- ثواب خدام العلم الأوفياء وسفرة الفائدة الأتقياء.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

كتبه:

أفقر العباد إلى رحمة مولاه

حمّاد أبو عبد الله

مراكش في: 10 ربيع الثاني 1430

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه.

يسعدني أن أقدم للقراء الكرام الطبعة الثانية من "عقيدة التوحيد الكبرى" للعلامة المالكي؛ الشيخ محمد المكي بن عزوز رحمه الله، وهي طبعة مزيدة ومصححة الأخطاء[6].

إن مما تتميز به هذه العقيدة؛ أن مؤلفها بين فيها مسائل مهمة انحرف فيها أهل البدع، مع بيان ما يقابلها من عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد جعلها في مقابل السنوسية الصغرى[7] التي ألفها الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت: 895هـ) رحمه الله، واسمها: أم البراهين، والتي انتشرت في المغرب مع ما تضمنته من عقائد كلامية تنسب –خطأ– إلى الإمام الأشعري.

وقد تعاضدت الأدلة وتتابعت شهادات العلماء على أن الأشعري رجع عن العقائد الكلامية، كما ثبت عن إمامنا مالك أنه أنكر تلك العقائد، والمناهج المؤسسة لها:

---

[6] وهي عبارة عن أخطاء في الشكل في كلمات معدودة، وسقط يسير في موطنين.

[7] انظر: مقدمة الدكتور بوغزالة لكتاب العقيدة الكبرى (ص.6).

روى الحـــافظ ابـــن عبد البر رحمه الله عن محمد بن أحمد بن خويز منداد المالكـــي أنـــه قال في كتاب الشهادات من كتابه "الخلاف": في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء، قال: "أهل الأهواء عند مالك وســـائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع؛ أشـــعريا كـــان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدا، ويهجر ويؤدب على بدعته.."اهـــ. [جامع بيان العلم وفضله 117/2].

وهكـــذا استمر المغاربة على إنكار العقائد الكلامية، إلى أن ابتلوا بمدعي المهدويـــة: محمد بن تومرت (م.524) الذي فرض عليهم هذه العقائد بعد أن خرج على الحاكم الشرعي من دولة المرابطين المالكية السلفية، وأحكم قبضته على الحكم، ففرض قناعاته على العلماء، زاعما أن هذه العقائد هي التي استقر عليها الإمام الأشعري ونصر بها الدين.

وهكذا تسللت هذه العقيدة إلى مصنفات كثير من علماء المغاربة، وتفشت بين الناس.

ولقـــد عـــرف تاريخ المغرب علماء محققين نبهوا الناس إلى هذا الانحراف الخطـــير؛ نذكر منهم –على سبيل المثال–: السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله الذي يقول في كتابه "الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية"[8]:

[8] مخطوط بخزانة القرويين بفاس (ص.320-322)

"إن الإمـــام أحمد ثبت الله المسلمين بثبوته[9]، سد طريق الخوض في علم الكلام وقال لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا ترى أحدا ينظر في علم الكلام إلا وفي قلـــبه مـــرض...، وإلى ذلـــك ذهب الشافعي ومالك وسفيان وأهل الحـــديث قاطبة، حتى قال الشافعي رضي الله عنه: "لأن يلقى الله العبد بكل ذنـــب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام"، فلزم الناس الـــسكوت عن الخوض في علم الكلام إلى أن نبغ الإمام الأشعري فاشتغل يرد علـــى المعتزلة أقوالهم الفاسدة، ويجيب عن آراءهم الواهية، فاتبعه المالكية على ذلـــك وسمـــوه ناصر السنة وهو ومن اتبعه على صواب موافقين في اعتقادهم للـــسنة والكـــتاب لا في الخوض مع الخائضين والتصدي لذكر شبه المبطلين وتخليدها في الأوراق إلى يوم الدين.

وأما الحنابلة فأنكروا ذلك عليه، وفوقوا سهام الانتقاد إليه، وقالوا له كان ينبغـــي لـــك أن تسكت كما سكت الأيمة قبلك من السلف الصالح المهتدين الذين يرون أن الخوض في علم الكلام من البدع المحدثة في الدين، أما لك فيهم أســـوة؟ أفلا وسعك ما وسعهم من السكوت عن تلك الهفوة؟ فطريق الحنابلة في الاعـــتقاد سهلة المرام، مترهة عن التخيلات والأوهام، موافقة لاعتقاد الأيمة

[9] [كذا! والصواب: ثباته].

كما سبق مع السلف الصالح من الأنام، أعاشنا الله على ما عاشوا عليه وأماتنا على ما ماتوا عليه" اهـ.

قلت: ولقد كان من أولئك العلماء المستبصرين، الذين هدوا إلى منهج السلف الصالحين؛ الشيخ ابن عزوز ذو النبأ المبين:

العلامة ابن عزوز يرجع من العقيدة الكلامية والفكر القبوري والتعصب المذهبي إلى السلفية:

عاش الشيخ محمد المكي بن عزوز -وخاصة بعد رحلته إلى الأستانة- مخاضا فكريا عسيرا نظرا للاختلاف الكبير بين المحصلة العلمية والفكرية التي حصلها في تونس، وبين منهج المدرسة السلفية في بلاد المشرق؛ فكما هو معلوم أن مذهب الإمام مالك بن أنس هو السائد في بلاد المغرب عامة، وكان تقليده مستحكما عند العلماء والعامة في القرون الماضية إلى درجة التعصب والجمود؛ فالكلام عن غيره من المذاهب أو قراءة مصنفاتها يعد من المحظورات! بل هدد أحد الأمراء بالأندلس بقتل من يفتي بغير مذهب مالك!!!

كما كانت العقيدة الكلامية المنسوبة خطأ للإمام الأشعري هي السائدة، مع تفشي التصوف الذي اكتسح المغرب منذ استولى ابن تومرت على الحكم.

في هذه البيئة كانت النشأة العلمية والروحية للعلامة محمد المكي رحمه الله؛ وقد أخذ علومه عن جهابذة المذهب المالكي في عصره، وكان أبوه الشيخ

مـــصطفى بن عزوز رحمه الله صاحب طريق صوفية تعرف بالطريقة العزوزية، ولا شك أن هذه الحال قد أثرت في منهجه العلمي والروحي؛ حيث يقول هو عن نفسه[10] واصفا تأثير النشأة في المنهج: "فأنا قد ربيت في معهد العلم من صغري، وقد وسع الله علينا من رزقه، ما سهل به القراءة زمان التعليم والإقراء علـــى شيوخ عديدة على اختلاف مشاربهم وتفاوت درجاتهم تفننا وأخلاقا، وارتحلـــت إلى بلـــدان عديدة،.. وأيضا لا نعرف في بلادنا المغربية إلا التقليد الأعمـــى؛ فقـــد كنا نعد الفتوى بحديث البخاري ومسلم ضلالا، وكما شدد عليـــنا شـــيوخنا في ذلـــك، شددنا على تلاميذنا هناك..؛ فمن ذلك أني عند ســـفري إلى المـــشرق استعار مني ابن أختي الخضر بن الحسين "نيل الأوطار" للشوكاني، فما تركته حتى أقسم لي بالله أنه لا يتبعه فيما يقول، ومن ذلك أني وجدت في عام (1300هـــ) كتاب "الروضة الندية" للسيد صديق حسن خان يـــباع عند كتبي في مسكرة[11]، فنهرته وجزرته، وقلت له: حرام عليك تبيع "الروضـــة الـــندية"، فصار يعتذر بمسكنة كأنه فعل خيانة، أما تصانيف "ابن

---

[10] في رســـالة طويلة أرسلها إلى الداعية الكويتي وأحد رواد النهضة في الجزيرة الشيخ عبد العزيز الرشيد البداح، نشرها هذا الأخير بنصها في مجلة الكويت التي كان ينشرها.

وهذه الرسالة هي إحدى الرسائل التي أعلن فيها العلامة ابن عزوز عن منهجه الجديد في الفكر والعقيدة والفقه.

[11] مسكرة هي ولاية تقع غرب العاصمة الجزائرية، وتعرف الآن ب "معسكر".

تيمية" و"ابن القيم" فو الله ما نظرت فيها سطرا لنفرة قلوبنا منها، ومن جهل شيئا عاداه.."اهـ.

وبسبب تعصبه الأعمى للقبورية ألف عدة كتب طعن فيها في السلفيين، وصحح بعض الأكاذيب التي يتعلق بها مبتدعة الصوفية؛ كتجويز الاستغاثة، والتوسل بغير الله، وإثبات التصرف لمن يعتقد فيهم الولاية، والاستدلال بهذيان ابن دحلان ونحو ذلك ...؛ ومن تلك المؤلفات: كتابه "السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني" الذي رد فيه على الصيادي، وقد تهجم في كتابه هذا على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وجوّز الاستغاثة بالأموات؛ كما في (صفحة 35).

ومعلوم أن هذا المنهج لا يرضاه لنفسه العالم التزيه المتبحر كالشيخ محمد المكي رحمه الله، ولذلك خاض غمار البحث والتفتيش عن حقيقة ما يسمى بالوهابية، متحليا بالإنصاف والموضوعية، متجردا من الهوى والمصلحية..

اكتشاف حقيقة الوهابية:

كان الشيخ محمد بن عزوز مطلعا على ما يتردد من كلام حول (الوهابية)، وأنهم طائفة مبتدعة في الدين تكفر المسلمين وتعتدي على تراثهم.

إلا أنه لم يرض أن يبقى في تصوره وحكمه على هذا التوجه أسير الأخبار والحكايات، فهذا شأن قليل المعرفة أو صاحب المصلحة أو المتعصب الذي لا يرضى أن يقال له أخطأت.

ذلـــك كله لم يحكم موقف ابن عزوز، بل سلك مسلك العلماء المنصفين؛ فـــبحث وقرأ واستشهد الثقات؛ ومن ذلك أنه أرسل إلى صديق له في المدينة رســـالة يستجلي منه فيها الأمر، ثم أرسل الرسالة نفسها إلى "البيطار" علامة بلاد الشام يريد منه جوابا شافيا[12].

ومما جاء فيها: "أخبرني بإنصاف، واعلم أنك مسؤول في عرصات القيامة عـــن ذلك: أخبرني عن "الوهابية" الذين ترون معاملتهم، وحالتهم مع السنة، والحـــضرة النـــبوية، فأنـــا إلى الآن ما اجتمعت بوهابي، وقد تناقضَت عندي المسموعات بالأذن والمرئيات في الكتب بالأعين؟

وبيان التناقض نقرره لك يا حبيب لتعرف كيف تجيبني، فإن المقام خطير:

---

[12] الرســـالة أثبتها بنصها: العلامة جمال الدين القاسمي في رسالة إلى العلامة الألوسي مؤرخة ب: 20 ذي الحجة 1327 هـــ، مطلعها: "اطلعت على رسالة بخط العلامة الفاضل السيد محمد المكي بـــن عـــزوز.."، ورسالة ابن عزوز مؤرخة ب: ذي الحجة 1327هـــ؛ راجع كتاب: [الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي (ص.104)].

بعض الناس يقولون: الوهابية يحقرون المقام النبوي، ولا يرون فرقا بينه وبين بقعة خالية في الأرض، ويقولون لمن شرب الدخان: أشركت بالله، ويضللون من أثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنارة، ويكفرون من زار قبرا ودعا الله عنده ويستحلون دمه.

وهؤلاء القادحين فيهم يقولون على سبيل القدح: "هم تابعون ابن تيمية أحمد تقي الدين"، فهنا جاء التناقض؛ فإن ابن تيمية إمام في السنة كبير، وطود عظيم من أطواد العرفان، حافظ للسنة النبوية، ومذهب السلف، يذب عن الدين، ويقمع المارقين، كالمعتزلة والقدرية، والرافضة والجهمية، ما فارق سبيل الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة قيد أنملة...".

"فإن كان الوهابية حقيقة على منهج ابن تيمية وابن القيم ونحوهما من فقهاء الحنابلة السنية فهم أسعد الناس بالشريعة؛ لأن ابن تيمية وأصحابه لم يسيء القول فيهم إلا القاصرون عن درجاتهم، علما وتحقيقا، والراسخون في العلم شهدوا بعلو مكانتهم. وإن كان الوهابية متصفين بالصفات الذميمة المشار إليها أولا، فأول خصم لهم ابن تيمية ونظراؤه من أئمة الحنابلة، فليسوا بتابعيهم.

وبعـــض الـــناس يقولون: الوهابية هم القائمون بالسنة، المتجنبون للبدع، المتـــبعون للحديث الشريف، وعلى مذهب أحمد بن حنبل وطريقة السلف في الاعتقاد...".

"فأريد منك أن تجتمع بفلان وفلان في محل لا رابع لكم إلا الله، وتقرؤون كـــتابي هذا بتأمل، وتجيبونني بما تحصل لكم، ذاكرين قوله تعالى: {**وإذا قلتم فاعدلوا**}[13].

واعلمـــوا أن من البلايا المتسلطة على الدين وإيمان المسلمين أنه صار الذي يـــصدع بالحـــديث النبوي الصحيح مقدما له على عصارة المتفقهين يقال له: أنت وهابي؛ وأحكي لكم لطيفة: كنت سألت بعض متفقهة مكة الحنفية عن رجـــل أعـــرفه من أكبر الفضلاء، قلت له: كيف حال فلان؟ فقال لي: ذلك وهابي، فقلت له: كيف وهابي؟ فقال: يتبع البخاري!

فلما حكيتها للسيد عبد الرحمن الجزولي عليه الرحمة والرضوان —وأنا نزيل عنده إذ ذاك— ضحك وقال: هل البخاري شيخ الوهابية؟

وقـــد سمعت كثيرا من الناس يقولون: من يتبع الحديث فهو وهابي، ومن يعـــتقد عقيدة السلف فهو وهابي، فقلت لهم: أنا لا أعرف الوهابية، وكلامهم

[13] سورة البقرة، الآية:134.

يـــدل عـــل أنهم سنيون صرفا؛ فقد مدحتموهم مدحا كبيرا من حيث قدحتم فـــيهم، نـــتمنى أن يكون مقلدة المذاهب كلهم هكذا إن كنتم صادقين فيما تقولون، لكن الجاهل يهرف بما لا يعرف، ولذلك يقال له: {**سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين**}، وقال تعالى: {**وأعرض عن الجاهلين**}[14]. وليكن جوابكم بما شاهدتموه لا بما ينقله المغفلون والأعداء المتعصبون.."اهـــ[15].

قلت: وفي بيان اعتماده في بحثه وتحريه على المطالعة والدراسة يقول:

"وقـــد كنت طالعت الرسائل المؤلفة من محمد بن عبد الوهاب وأصحابه، ورأيـــت ما كتبه الجبرتي في "تاريخه" من عقائدهم وسيرتهم، فما هي إلا طريق الـــسنة ليس فيها ما ينكر، ورأيت رسائل القادحين فيهم ينسبون لهم الدواهي والعظـــائم، والوهابـــية يـــنفون ذلـــك عن أنفسهم، لا يحتجون لحسن تلك القبائح.."اهـــ[16]

وقال: "فلما ارتحلت إلى المشرق سنة (1316)، واطلعت على كتب أهل هـــذا الـــشأن باســـتغراق الوقت، لا واشي ولا رقيب، وأمعنت النظر بدون تعصب، فتح الله على القلب بقبول الحقيقة، وعرفت سوء الغشاوة التي كانت

---

[14] سورة الأعراف، من الآية:199.

[15] الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي (ص.107/106).

[16] المصدر نفسه (ص.104).

علـــى بصري، وتدرجت في هذا الأمر حتى صارت كتب الشوكاني وصديق خـــان وشـــروح بلـــوغ المرام وما والاها أراها من أعز ما يطالع، أما كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم فمن لم يشبع و لم يرو بها فهو لا يعرف العلم.

.. ومنذ عرفت الحقائق، استرذلت الحكم بلا دليل.

ومـــن اللطائف أن في الشهر الأول من انفتاح البصيرة، ألقي إلي في مبشرة منامـــية قـــوله تعالى: {**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانـــوا علـــيها قـــل لله المـــشرق والمغـــرب يهـــدي من يشاء إلى صراط مستقيم**}[17]"اهـــ.

العلامة ابن عزوز يبين معنى التدين الصحيح:

وقـــد أرسل ابن عزوز بعد هدايته للسلفية رسالة إلى الشيخ عبد العزيز الرشيد صاحب مجلة "الكويت" قال فيها:

"لست أعني بالدين الدين الذي قنع به أكثر طلبة العصر والمنتسبين إلى العلم في الشرق والغرب من كل مذهب من مذاهب أهل السنة.

سارت مشرِّقة وسرت مغرباً ***** شتان بين مُشـــــرِّق ومغرِّب

[17] سورة البقرة، الآية:142.

ولكني أعني بالعلم والدين علم السنة، وما الدين إلا اتباعها وإيثارها على عـــصارات الآراء وهجـــومة المتفقهة، وما التوحيد إلا توحيد السلف الصالح، وأما غيره فأشبه بالضلالات وزلقات الهفوات... إننا نجد فقيهاً تقياً محباً للسنة ومبغـــضاً للـــبدعة، مـــتعففاً من تناول الحرام، واقفاً موقف النصح والإرشاد للخلق، حسن النية، لكنه جاهل بعبادات النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه في شؤونه كلها.

وقد يكون عارفاً بها أو ببعضها، ويترك المتابعة النبوية عمداً، لأنها خالفت قـــول فقهائه، ولو تخيره بإصلاح عبادة أو تحرير حكم شرعي بنص نبوي ينفر مـــنك نفـــرته مـــن العدو، ورآك مخادعاً ، ولربما اتخذك عدواً مبيناً بعد المحبة والصحبة ويحكم بضلالك، كل ذلك لغلوه في التقليد، ولا يخفى أن أولئك لا يقال لهم علماء إلا مجازاً، ولا خلاف في ذلك كما قاله ابن عبد البر وغيره.

.. والأوســـطون هم الذين تفقهوا بفقه الأئمة رضوان الله عليهم، واعتنوا بالحـــديث الـــشريف مـــع تفنن في الأصول والعلوم العربية، ودققوا مسائلهم الدينـــية، فمـــا كان من الفقه سالماً من مصادمة سنة بقوا عليه، وما صادمها نـــبذوه وعذروا قائله بعدم بلوغ الخبر له، هذا فيما يتعلق بالعلم العملي، وأما

الاعـــتقادي فهـــو معذور في الابتداء في كتب المتكلمين[18]، ثم يترقى بطريقة الـــسلف، ولا تؤخذ حقيقتهما إلا من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحبه الـــذي هو نسخة صحيحة لا تحريف فيها الشمس ابن القيم، فيعتقد ما هناك بأدلـــة متينة وإيمان راسخ، فيصبح من الفرقة الناجية التي عرّفها النبي صلى الله علـــيه وسلم بأنهم على ما كان عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهـــذا القـــسم الذي هو على الصراط المستقيم، المدعو بالهداية إليه في الفاتحة بكـــل ركعة، قليل في الوجود مع الأسف، قال الله تعالى: {**وقليل من عبادي الشكور**} فأنا أنظر شرقاً وغرباً فأرى كما قيل:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم **** الله يعلـــم أني لـــم أقل فندا
إني لأفتح عيني حين أفتحها **** على كثير ولكن لا أرى أحداً" اهـــ.[19]

قلـــت: والعالم الصادق لا يسعه إلا أن يدعو إلى الحق الذي عرفه بدليله، وهو ما قام به العلامة ابن عزوز:

---

[18] المراد بالمتكلمين هنا؛ الذين يتوسعون في الحجج العقلية والمنطقية في إطار الأدلة النقلية، كما يفهم ذلك من إحالته على كتب شيخي الإسلام، أما أهل الكلام المذموم فلا ينضبطون بدلالة النقل بل يتأولونها على غير وجهها لتوافق قواعدهم العقلانية.

[19] انظر: مجلة الكويت (الجزء 10 العدد الأول)، و"المكي بن عزوز؛ حياته وآثاره"، للأستاذ علي الرضا الحسيني، و"العلامة محمد المكي ابن عزوز" للشيخ الخراشي.

قـــال محمـــود الألوســـي: "وقد اجتمع به ابن العم في هذا السفر الأخير وأخبرني عنه أنه الآن تمذهب بمذهب السلف قولا وفعلا وأصبح يجادل أعداءه، ويخاصم عنه"[20].

وقـــال عـــنه العلامـــة القاسمي: "إن حضرة العالم النحرير، سليل العلماء الأفاضـــل السيد محمد المكي بن عزوز التونسي نزيل الأستانة كان من أشداء المتعصبين للجهميين والقبوريين، ثم بصره الله تعالى الحق فاعتنقه، وأصبح يدافع عـــنه، وهـــذا الفاضل لشهرة بيته ونباهة أمره يعد بألوف..، فالحمد لله على توفيق هذا السيد وهدايته لما هدي له" اهـــ[21].

وفي شـــكوى من موقف المتصلبين الرافضين الرجوع إلى الحق يقول علامة المالكية:

"ومـــا أتعجـــب مـــنه وأتأســـف، ما رأيته في نتائج مخالطاتي لأهل العلم ومناظـــراتي ومذاكـــراتي أني أجد الشبان والطلبة الصغار أقرب قبولا للحق، وذوقا للصواب، وسرورا بالدليل من الشيوخ، وأكثر الشيوخ جامدون على ما ألفـــوه، ومن أحبارهم ورهبانهم عرفوه، ولا أدري هل ذلك لطول قعودهم في أرض التقليد صاروا كمن دقت له أوتاد والتحمت تلك الأوتاد بالأرض، فلا

---

[20] في رسالة أرسلها إلى القاسمي بتاريخ: محرم (1328هـــ).: [المصدر السابق ص.115].

[21] الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي، (ص.101-102).

يستطيعون النهوض منها؟ أم لأن غالب الشيوخ أكبر مني سنا؟ فهم يأنفون من أن يستفيدوا ممن هو أصغر منهم؟ أم كيف الحال؟

وعلى كل حال أتذكر عند ذلك قول الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت *** ولن تلين إذا كانت من الخشب

وإني أحمد الله تعالى على أن أنقذني من أسر التقليد، وصرت إذا رأيت تعنتهم واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أتلو قوله تعالى مذكرا لنفسي آلاء الله: {**كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم**}[22]، لأني كنت أرى قول فقيه: المعتمد كذا، أو استظهر شيخنا كذا، كأنه بين دفتي المصحف، واللهِ بل آكد "أستغفر الله"؛ لأني أقول: الآية لا أفهمها مثله، ونظن كل كلمة قالها المالكي فهي من مقولات مالك أو حنفي فأبو حنيفة أو شافعي... إلخ والخروج عن الأربعة كالكفر ولو أيده ألف حديث.

والحمد لله الذي عافانا مع بقاء احترامهم ومحبتهم في قلوبنا، وأخبركم أني لما بدأت في الاستضاءة بنور الحديث ووزن خلافات الأئمة والفقهاء بالأدلة، وصرت أصلي بالقبض والرفع...إلخ، وذلك سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف، ألقي لي في المنام قوله تعالى: {**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن**

[22] سورة النساء، من الآية:94.

قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله}، وقمت بها من المنام على لساني" اهـ[23].

وبالتأمل في الحقائق المتقدمة يظهر لنا أن مصطلح (الوهابية) لفظ اخترعه المعادون للإصلاح السلفي، الحريصون على بقاء الأمة مخدرة بالفكر الخرافي الذي يكرس تخلف الأمة ويزهدها في التمسك بدينها.

قال العلامة السلفي عبد الله كنون –مؤسس رابطة علماء المغرب ورئيسها الأسبق-: "يقال اليوم في كل من كان سلفي العقيدة **إنه وهابي تنكيتا عليه وتنفيرا من مذهبه**"[24].

وهكذا انبجست عيون الحقيقة عن سلفية أصيلة تدعو إلى القرآن والسنة على منهاج سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المرضيين، في التدين وأصول الاستنباط، وهذا هو دين الإسلام لمن أراده والصراط المستقيم لمن رغب فيه، وتلك المحجة البيضاء والملة السمحاء، المبرأة من التعصب المذهبي والمعتقد الفلسفي الكلامي والطرقية الخرافية الجانية على العقل المحرفة للدين، فرحم الله المنصفين.

كتبه:

---

[23] الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي، (ص.108-109).

[24] النبوغ المغربي (ص.125).

أفقر العباد إلى رحمة مولاه

حمّاد أبو عبد الله

الدار البيضاء في: 18 رمضان 1430

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عقيدة التوحيد الكبرى، نفعنا الله بمؤلفها، آمين

لاَ إِلَهَ إِلاّ الله[25]، مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله.

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}[سورة البقرة؛ من الآية:255].

لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، قَدِيمٌ لاَ أَوَّلَ لِوُجُودِه، بَاقٍ لاَ نِهَايَةَ لِبَقَائِه، جَلَّ أَنْ يَلْحَقَهُ تَصَوُّرٌ، أَوْ يُشَخِّصَهُ فِكْرٌ، فَكُلُّ مَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ فَرَبُّنَا مُخَالِفٌ لِذَلِكَ **{لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**[سورة الشورى؛ من الآية:11]، وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، العَفُوُّ الغَفُورُ، الرَّحِيمُ، شَدِيدُ العِقَابِ.

كَانَ العَالَمُ، -وَهُوَ جَمِيعُ مَا سِوَى الله- فِي العَدَمِ، والله هَوَ الَّذِي أَوْجَدَهُ بِمَشِيئَتِه مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ إِلَيْه، وَلاَ تَفَكُّرٍ فِي إِيجَادِه، فَكُلُّهُ مُلْكُهُ يَتَصَرَّفُ فِيه

[25] معناها: لا معبود بحق إلا الله.

وَحْدَهُ كَمَا يَشَاءُ، فَلاَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ جَوْرٌ فِيمَا أَوْجَدَ أَوْ أَعْدَمَ، أَوْ مَنَعَ أَوْ أَعْطَى، إِنْ أَنْعَمَ فَبِفَضْلِه، وَإِنْ مَنَعَ فَبِعَدْلِه، **{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}**[الأنبياء؛ من الآية: 23]، **{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}**[الرحمن؛ من الآية:29]، غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَجَمِيعُ مَا عَدَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، أَفْعَالُهُ وَأَحْكَامُهُ كُلُّهَا لِحِكْمَةٍ، لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا عَبَثًا، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.

لاَ يَتَجَدَّدُ لَهُ عِلْمٌ بِتَجَدُّدِ الأَشْيَاءِ، هُوَ الَّذِي يُنْشِئُهَا عَلَى وِفْقِ مَا فِي عِلْمِه.

فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِه، وَلاَ رَادَّ لِقَضَائِه، مُقَلِّبُ القُلُوب، يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِه.

هُوَ رَازِقُ مَنْ أَرَادَ، مَتَى أَرَادَ، أَيْنَ أَرَادَ، بِمَا أَرَادَ مِنَ المَالِ وَالجَاهِ وَالعُلُومِ وَالأَخْلاَقِ أَوْ غَيْرِهَا.

قال تعالى: **{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}**[الحجر؛ الآية:21].

خَلَقَ العَرْشَ، وَالعَرْشُ مُحِيطٌ بِالعَالَم، وَفِي جَوْفِهِ الكُرْسِيُّ، وَفِي جَوْفِ الكُرْسِيّ السَّمَوَاتُ والأَرْض، وَخَلَقَ اللَّوْحَ وَالقَلَمَ، وَخَلَقَ المَلاَئِكَةَ وَالجِنَّ، وَالإِنْسَ وَسَائِرَ الحَيَوَانَاتِ، وَهُوَ مُغَذِّيهَا بَرًّا وَبَحْرًا، لَيْلاً وَنَهَارًا.

{وَعِـــنْدَهُ مَفَـــاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَـــسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام؛ الآية:59].

س ـــ هَلْ يُقَالُ: اللهُ كَائِنٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟

ج ـــ لاَ يُقَالُ؛ لِأَنَّهُ صُورَةُ القَوْلِ بِالحُلُولِ وَالاتِّحَادِ وَهُوَ كُفْرٌ، فَاللهُ تَعَالَى مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِه، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِه، قَرِيبٌ لَهُمْ بِعِلْمِه وَمَلاَئِكَتِه.

وَاسْتِوَاؤُهُ تَعَالَى عَلَى العَرْشِ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ دُونَ تَعَرُّضٍ لِكَيْفِيَّتِه كَالسَّمْعِ وَالبَصَرِ، وَسَائِرِ صِفَاتِه تَعَالَى الثَّابِتَةِ بِلِسَانِ الشَّرْعِ.

هَـــذَا الَّـــذِي اتَّفَـــقَ عَلَيْهِ الأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَسَاطِينِ السُّنَّةِ، وَهُوَ المَعْقُولُ[26].

---

[26] قـــوله هو المعقول، إشارة إلى الرد على المعتزلة والكلاميين الذين نفوا الصفات أو حرفوها، لما توهمته عقولهم من أن إثباتها يستلزم التشبيه؛ كما قال اللقاني:

وكل نص أوهم التشبيها *** أوله أو فوض ورم تنزيها

ومثله قول المقري:

والنص إن أوهم غير اللائق *** بالله كـــالتشبيه بالخـــلائق

فاصرفه عن ظاهره إجماعا *** واقطـــع عن الممتنع الأطماعا

وبهذه التأصيلات الفاسدة وأشباهها حصلت انحرافات؛ منها: =

وَلاَ يَجُوزُ التَّفَكُّرُ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالَى.

1- تعطيل صفة الاستواء، وتأويلها بالاستيلاء؛ فقالوا استوى بمعنى استولى؛ وهذا مخالف للغة والشرع وما أجمع عليه السلف.

2- القــول بالحلول والاتحاد: وهي فلسفة صوفية تزعم أن الله يحل في مخلوقاته فيصير الخالق والمخلوق شيئا متحدا، وهذه الهرطقة اخترعها زنادقة الفلاسفة وتلقاها الصوفية الذين تغلغلوا في التصور الصوفي حتى وصل بهم إلى هذا الكفر البين، وقد صرح ابن عربي بتلك العقيدة الباطلة شعرا ونثرا؛ ومن ذلك قوله في كتابه الفتوحات المكية:

الرب عبد والعبد رب *** يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب *** وإن قلت رب فأنى يكلف

وزعم في هذا الكتاب أن فرعون مات مؤمنا لأنه شاهد الحقيقة حين قال: أنا ربكم الأعلى!

ومن أقواله في هذا الباب: (لا ظهور ولا وجود إلا له تبارك وتعالى، والعالم خيال عند الأحرار) وقوله: (الحق خلق والخلق حق).

ومــع هــذا الضلال البين يعتبره عامة الصوفية الشيخ الأكبر، ويقولون بأن أصحاب الظاهر لا يفهمون كلامه، وهذه عين السفسطة. ومثل أقواله؛ قول ابن سبعين: (ما في الجبة إلا الله)، وقول ابن الفارض: (سبحاني سبحاني ما أعظم شاني)، وهذه هيستريا وجنون يتكلمون به حين يحصل لهم سكر شيطاني يسمونه حال ربانية يمتزج فيها اللاهوت بالناسوت، وتغيب الحقائق كلها إلا حقيقة الإله!

وهذا كفر كما قال العلامة ابن عزوز، ولا يخالف فقيه في ذلك، وهو أكفر من قول النصارى؛ لأن هؤلاء حصروا (حلول اللاهوت في الناسوت) في عيسى.

س ــ هَــلْ يُفَــسَّرُ اسْــتَوَى بِاسْتَوْلَى فِي آيَةِ: {**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**} [طه؛ الآية:5]؟

ج – لاَ يُفَسَّرُ، وَهُوَ تَفْسِيرُ الْمُعَطِّلَةِ كَالْمُعْتَزِلَةِ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ.

س – مَنْ هُم المَلاَئِكَةُ وَمَا وَظِيفَتُهُم؟

ج – عِبَادُ اللهِ مُطِيعُونَ عَابِدُونَ مَعْصُومُونَ، وَهُمْ أَجْرَامٌ مِنْ نُورٍ، لاَ إِنَاثَ وَلاَ ذُكُور، وَقَدْ يَتَشَكَّلُونَ بِشَكْلِ الآدَمِيِّ عِنْدَ الحَاجَةِ.

مِنْهُمْ الأَرْبَعَةُ: جِبْرِيلُ، وَمِيكَائِيل، وَإِسْرَافِيل، وَعِزْرَائِيل[27].

وَمِــنْهُمْ: مَلاَئِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ يَتَعَاقَبُونَ، لَيْلِيِّينَ وَنَهَارِيِّينَ، يَكْتُبُونَ كُلَّ مَا يَقُولُ أَوْ يَفْعَلُ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ.

وَمِنْهُمْ: المَلَكَانِ[28] اللَّذَانِ يَسْأَلاَنِ المَيِّتَ فِي قَبْرِهِ عَنْ دِينِهِ.

وَمِنْهُمْ: خَزَنَةُ الجَنَّةِ وَخَزَنَةُ النَّارِ.

وَمِــنْهُمْ: غَيْرُ ذَلِكَ: {**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**} [المدثر؛ من الآية:31].

---

[27] لم تصح تسمية ملك الموت بعزرائيل في القرآن ولا في السنة.

[28] وقد صح في السنة تسميتهما: منكر ونكير.

س – مَنْ هُمْ الجِنُّ؟

ج – هُـــمْ جِـــنْسٌ يَـــرَوْنَنَا وَلاَ نَرَاهُمْ، مُكَلَّفُونَ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ مِثْل الإِنْسِ، مِنْهُم الصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ.

وَمِنْهُمْ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، وَذُرِّيَّتُهُ الخُبَثَاءُ المُضِلُّونَ.

ثُمَّ جَمِيعُ الجِنِّ دَاخِلُونَ تَحْتَ المَسْؤُولِيَّة بِالرِّسَالَةِ المحَمَّدِيَّة، وَقَدْ بَلَّغَهُم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَآمَنَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ السَّعَادَةُ.

س – مَا القَوْلُ فِي مَذْهَبِ (دَارْوِينَ) وَمَنْ تَبِعَهُ فِي أَنَّ أَصْلَ البَشَرِ النُّشُوءُ وَالارْتِقَاءُ إِنْكَارًا لِوُجُودِ آدَمَ وَحَوَّاءَ؟

ج – اعْـــتِقَادُ ذَلِكَ مُجَاهَرَةٌ بِتَكْذِيبِ كَلاَمِ اللهِ وَرُسُلِهِ كُلِّهِم، فَآدَم خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طِينٍ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ جَسَدِ آدَم وَمِنْهُمَا تَنَاسَلَ الْبَشَرُ.

س – لِأَيِّ شَيْءٍ خُلِقَ الجِنُّ وَالإِنْسُ؟

ج – قَـــالَ تَعَالَى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} [الذاريات؛ الآية:56].

خَلَقَهُـــمْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ اخْتَارَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِمْ بِالشَّرَائِعِ، جَعَلَ المَلاَئِكَةَ سُفَرَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَلْزَمَ جَمِيعَ الأُمَمِ التَّوْحِيدَ[29] وَتَصْدِيقَ الرُّسُلِ.

[29] وهو أول واجب على العبيد، وأعظم ما أمرت به الرسل عليهم السلام.

وَسَــخَّرَ لعــبَاده الْعَوَالِمَ الْعُلْوِيَّةَ وَالسُّفْلِيَةَ لِيَتَمَتَّعُوا وَيَشْكُرُوهُ، قَالَ تَعَالَى: **{وَسَــخَّرَ لَكُــمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**[الجاثية؛ الآية:13].

وَمِنْ لُطْفِه جَلَّ جَلاَلُه أَنَّهُ شَرَعَ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَأَحْكَامِ الْمُعَامَلاَتِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَــا يَلِيقُ بِهِمْ زَمَانًا وَإِقْلِيمًا، وإِذْ جَعَلَ هَذِه الشَّرِيعَةَ اَلْمُحَمَّدِيَّةَ سَمْحَاءَ، ثَابِتَةَ الأَصْــلِ، لاَ تَتَزَعْــزَع، بَاسِقَةَ الأَغْصَانِ، صَالِحَةً لِكُلِّ قَوْمٍ، وَكُلِّ زَمَانٍ وَكُلِّ مَكَانٍ، خَتَمَ بِهَا الشَّرَائِعَ، وَأَدْخَلَ فِي حُدُودِهَا كُلَّ مُكَلَّفٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلاَ يُعْبَدُ إِلاَّ بِهَا، وَشَرَطَ فِي قَبُولِ عِبَادَتِه الإِيمَان.

س – الإِيمَانُ بِمَاذَا؟

ج – الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِه، وَكُتُبِه، وَرُسُلِه، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ كُلِّه.

س – مَا مَعْنَى: وَبِالْقَدَرِ كُلِّه؟

ج – هُــوَ أَنْ تَعْــتَقِدَ أَنَّــهُ لاَ يَقَعُ شَيْءٌ فِي الْكَوْنِ إِلاَّ بِعِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِه وَإِرَادَتِه[30]، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ الْقَلَمَ فَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ مَا سَيَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

س – مَا اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ وَالْكِتَابَةُ؟

ج – هِــيَ مِنَ الْغَيْبِيَاتِ الَّتِي ثَبَتَ وُجُودُهَا بِلِسَانِ الشَّرْعِ، فَيَجِبُ الإِيمَانُ بِهَا، وَلاَ يَضُرُّ عَدَمُ عِرْفَانِ كَيْفِيَّاتِهَا.

[30] وهو سبحانه خالق أفعال العباد كما هو نص القرآن.

س – مَا وَظِيفَةُ الْعَقْلِ فِي هَذَا العِلْمِ؟

ج – العَقلُ تابِعٌ للشرْع وخادم له.

العَقْلُ مَخْلُوقٌ، وَالْمَخْلُوقُ لاَ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِ خَالِقِه إِلاَّ مَا عَرَّفَهُ خَالِقُهُ، فَلاَ يَعْتَقِد وَلاَ يَتَكَلَّم أَحَدٌ فِي أُمُورِ خَالِقِه إِلاَّ مَا أَذِنَ لَهُ فِيه، فَالْعَقْلُ لاَ سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْحُكْمِ فِي المَبَاحِثِ الإِلَهِيَّةِ نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا إِلاَّ بِتَلَقِّي عِلْمِهَا مِنْ إِفَادَةِ النُّبُوَّة.

وَكَذَلِكَ الأُمُورُ الأُخْرَوِيَّةُ وَمَا أَخْبَرَ بِه الشَّرْعُ مِمَّا غَابَ عَنِ الْعِيَان، فَلَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيه وَظِيفَةٌ إِلاَّ التَّعَقُّل وَالتَّفَهُّم لِلْمُرَادِ مِنَ التَّبْلِيغَاتِ النَّبَوِيَّةِ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَكُلُّهَا مُطَابِقَةٌ لِلْعَقْلِ، عَرَفَ مَنْ عَرَفَ، وَجَهِلَ مَنْ جَهِلَ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ[31].

حَافِظُوا عَلَى هَذَا الأَسَاسِ الكُلِّي فَهُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَبَيْنَ الْخَطَأ وَالصَّوَابِ فِي هَذَا الْبَاب.

وَكُلُّ حُكْمٍ خَرَجَ عَنْ هَذِه الْقَاعِدَةِ فَهُوَ مَظْنُونٌ أَوْ مَوْهُومٌ مِنْ قَائِلِه الأَوَّل، بِنَاءً عَلَى قِيَاسَاتٍ لَمْ تَطَّرِدْ، فَلاَ يَقِينَ فِيه، وَلاَ يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ، وَنَتَائِجُ الأَفْكَارِ لاَ تُقَاوِمُ وَحْيَ الْجَبَّار.

وَسَبَبُ الْخَطَأ الْقُصُورُ فِي الإِحَاطَةِ بِأَصْلِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ تَعْرِيفِهَا، فَلَوْ اسْتَكْمَلَت لأَهْلِ الفَنِّ لَقَرَّ قَرَارُهُمْ عَلَى الإِذْعَانِ إِلَى مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ.

---

[31] وأصل ضلال الفلاسفة: محاولة إدراك الغيبيات بالعقل دون الوحي.

نَعَمْ مَا كَانَ غَيْرَ مُصَرَّحٍ بِهِ فِي النَّصِّ الدِّينِي فَهوَ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَاب.

فَهَـذِه الْمَسْأَلَة -وَهِيَ عِرْفَانُ وَظِيفَة الْعَقْلِ فِي هَذَا الْعِلْمِ وَتَوْقِيفُه عِنْدَ حَدِّه- هِيَ إِحْدَى النُّقْطَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا مَنْبَعُ السَّعَادَة وَالشَّقَاوَة.

وَالنُّقْطَة الثَّانِيَة: اعْتِقَادُ قُدْرَة اللهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِه: مَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَفَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ زَالَ عَنْ فِكْرِه أَكْثَرُ الإِشْكَالاَت الْمُضِلَّة؛ لأَنَّهُ بِقُدْرَة اللهِ تَنْخَرِقُ الطَّبِيعَة، فَكَمَا أَنَّ جَرَيَانَهَا فِي سَبِيلِهَا الْمُعْتَاد هُوَ بِفِعْلِ اللهِ وَحِكْمَتِه، فَلاَ إِشْكَالَ فِي تَغْيِيرِه، وَمَجْرَاهَا الْحِكْمَةُ أَيْضًا، فَاللهُ لَمْ يَلْتَزِمْ عَدَمَ تَغْيِيرِ الْمُعْتَادِ مِنْ مَجَارِي الطَّبِيعَة، بَلْ صَرَّحَ بِتَغْيِيرِهَا وَتَبْدِيلِهَا وَتَحْوِيلِهَا مَتَى شَاءَ.

وَمِنَ الخَطَأ الفَاحِش تَفْسِيرُ قَوْلِه تَعَالَى: { **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**}[فاطر؛ من الآية:43] بِأَنَّهُ الْقَانُونُ الطَّبِيعِي فِي حَوَادِث الْكَوْن.

وَالصَّوَابُ أَنَّ سُنَّتَهُ هُنَا نُصْرَةٌ لأَنْبِيَائِه عَلَى مَنْ كَذَّبَهُمْ وَعَادَاهُمْ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْه صَدْرُ الآيَة؛ وَهُوَ: **{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ}**[فاطر؛ من الآية:43].

فَهِيَ السُّنَّةُ الَّتِي لاَ تَتَبَدَّلُ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

فَحَافِظُوا عَلَى هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ تُفْلِحُوا، فَهُمَا جَنَاحَا الْمُسْلِم اللَذَانِ يَتَخَلَّصُ بِهِمَا مِنَ الْفِتَنِ، وَإِلاَّ فَهُوَ مِنْ أَهْلَكِ الْهَالِكِينَ.

س – كَم السَّمَوَاتُ؟

ج – السَّمَوَاتُ سَبْعٌ، وَهِيَ طِبَاقٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، سَقْفًا مَحْفُوظًا.

وَجَمِيعُهَا فَوْقَ عَالَمِ الْكَوَاكِبِ، وَمَنْ نَفَى وُجُودَ السَّمَوَاتِ الْمُفَسَّرِ بِلِسَانِ الشَّرْعِ فَقَدْ جَاهَرَ بِتَكْذِيبِ النُّبُوَّةِ.

س – فِي كَمْ خُلِقَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟

ج – فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ؛ خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ السَّمَوَاتِ فِي يَوْمَيْنِ.

ثُمَّ دَحَا الأَرْضَ، وَخَلَقَ مَا عَلَيْهَا مِنْ جِبَالٍ وَمَاءٍ وَأَقْوَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي يَوْمَيْنِ.

س – مَا مِقْدَارُ تِلْكَ الأَيَّامِ؟

ج – مِقْدَارُ أَيَّامِ الدُّنْيَا الْمَعْرُوفَةِ، وَلاَ يَعْجز عَنْهُ، وَلَوْ شَاءَ لَخَلَقَهَا فِي لَحْظَةٍ.

س – هَل الأَرْضُ كُرَةٌ أَمْ مُسَطَّحَةٌ؟

ج – كُرَةٌ وَمُسَطَّحَةٌ، فَالأَرْضُ جُرْمٌ كَبِيرٌ، لاَ يُنَافِي تَسْطِيحُهَا كُرَوِيَّتَهَا لِتَبَاعُدِ أَكْنَافِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ.

س – مَتَى تَكْتُبُ الْمَلاَئِكَةُ قِسْمَةَ الإِنْسَانِ السَّابِقَةِ فِي عِلْمِ اللهِ الْقَدِيمِ؟

ج – قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، يَكْتُبُ الْمَلَكُ بِأَمْرِ اللهِ أَجَلَهُ وَرِزْقَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَمَا هُوَ لاَقٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ.

س – هَلْ لِلإِنْسَانِ مَدْخَلٌ فِي أَفْعَالِهِ؟

ج – نَعَمْ؛ فَالإِنْسَانُ لَهُ اخْتِيَارٌ، لِلْفَرْقِ الضَّرُورِيِّ بَيْنَ حَرَكَةِ الارْتِعَاشِ وَحَرَكَةِ الْبَطْشِ.

وَعَلَى فِعْلِهِ بِقَصْدِهِ وَتَعَمُّدِهِ يُثَابُ وَيُعَاقَبُ. {**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**}[البقرة؛ من الآية:286]، {**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**}[الأنعام؛ من الآية:49].

وَالتَّفْرِيطُ اعْتِمَادًا عَلَى الْقَدَرِ جَهْلٌ، فَالَّذِي عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَسْعَى فِي الصَّالِحَاتِ، وَلاَ يَتَجَاوَزْ خُطَّتَهُ إِلَى التَّكَلُّفِ فِيمَا أَخْفَاهُ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ الْمَقْدُورُ أَوْ مِن غَيْرِ الْمَقْدُورِ.

ثُمَّ الرُّجُوعِ إِلَى القَدَرِ يَكُونُ عِنْدَ الطَّاعَاتِ مِنْ غَيْرِ كَسَلٍ، وَبَعْدَ الْمَصَائِبِ، لاَ عِنْدَ الذُّنُوبِ، فَهُوَ سُوءُ أَدَبٍ، وَمِنْ غُرُورِ الشَّيْطَانِ.

س – مَا الاعْتِقَادُ فِي حَقِّ الأَنْبِيَاءِ؟

ج – الأَنْبِيَاءُ صَادِقُونَ، أُمَنَاءُ، مَعْصُومُونَ، أَهْلُ فِطْنَةٍ، لاَ يَكْتُمُونَ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَهُمْ اللهُ بِتَبْلِيغِهِ، مُؤَيَّدُونَ مِنَ اللهِ بِالْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَاتِ لِلْعَادَةِ، عَلاَمَةً عَلَى صِدْقِهِمْ.

وَمَنْ كَذَّبَ نَبِيًّا -وَلَوْ فِي كَلِمَةٍ- فَقَدْ كَفَرَ.

س – مَا الَّذِي يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ؟

ج – يَجُوزُ عَلَيْهِم الأَحْوَالُ الْبَشَرِيَّةُ الَّتِي لاَ نَقِيصَةَ فِيهَا؛ كَالْجُوعِ وَالتَّعَبِ وَالنِّكَاحِ، وَالْمَرَضِ الَّذِي لاَ تَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ.

س – مَا خَصَائِصُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–؟

ج – هُــوَ خَــاتِمُ الأَنْبِيَاء، رَسُولاً إِلَى جَمِيعِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، جَاءَ مِنَ اللهِ بِالْقُــرْآنِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَهُوَ أُمِّيٌّ لاَ يَكْتُبُ وَلاَ يَقْرَأُ، وَلَمْ يَتَعَلَّمْ قَطّ، وَذَلِكَ مِنْ أَكْمَــلِ الْكَمَالِ لَهُ؛ لِأَنَّ أَكْبَرَ مُعْجِزَاتِه الْقُرْآن الَّذِي أَدْهَشَ مَصَاقِعَ[32] خُطَبَاءِ الْعَــرَب، لِيَتَحَقَّقَ أَنَّ فَتْحَهُ قُدْسِيٌّ، وَكِتَابَهُ مُنَزَّلٌ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ، فَلاَ يَرْتَاب أَحَدٌ فِي نُبُوَّتِه وإِبْلاَغِه رِسَالَةَ رَبِّه.

س – هَل الْقُرْآنُ كَلاَمُ اللهِ نَفْسُهُ؟

ج – الْقُــرْآنُ كَلاَمُ اللهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِف، الْمَحْفُوظُ فِي الصُّدُورِ، الْمَقْرُوءُ عَلَى الأَلْسِنَة، نَزَلَ بِه جِبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْجِزًا كُلَّ مَنْ يُعَارِضُهُ أَوْ يُرِيدُ الإِتْيَانَ بِمِثْلِه.

قــال تعــالى: {**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**}[الإسراء؛ الآية:88].

وَقَدْ تَكَفَّل اللهُ بِصِيَانَتِه مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِير، وَمَنْ سَعَى فِي تَحْرِيفِه لَفْظًا أَوْ مَعْنَى يَفْتَضِحُ، وَعَجْزُهُ يَتَّضِحُ.

---

[32] المصقع: الذي يأخذ في كل صقع من الكلام؛ أي كل ناحية منه.

س – مَا الْقَوْلُ فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ غَيْرِ الْقُرْآنِ؟

ج – الــتَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَغَيْرُهَا مِنَ الصُّحُفِ الإِلَهِيَّةِ، كُلُّهَا كَلاَمُ اللهِ مِــثْلِ القُــرْآنِ، إِلاَّ الكَلِمَاتِ الَّتِي حَرَّفُوهَا، وَحَيْثُ كَانَ حَصْرُهَا مَجْهُولاً فَنَقُولُ فِي تِلْكَ الكُتُبِ إِجْمَالاً: آمَنَّا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

وَالــشَّرْعُ الْمُحَمَّدِيُّ مُصَدِّقٌ لِلشَّرَائِعِ قَبْلَهُ، وَرَافِعٌ لِحُكْمِهَا بِأَمْرِ اللهِ، فَلاَ شَرِيعَةَ بَعْدَ بِعْثَتِهِ إِلاَّ شَرِيعَتُهُ، وَهِيَ أَجْمَعُ الشَّرَائِعِ وَأَيْسَرُهَا، وَلاَ يَلْزَمُ أَنْ نَعْرِفَ حِكْمَةَ جَمِيعِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهَا وَاضِحَ الْحِكْمَةِ.

س – هَلْ لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ حُكْمُ القُرْآنِ فِي الطَّاعَةِ وَالإِيمَانِ؟

ج – نَعَمْ لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ، وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ مَحْفُوظٌ عِنْدَ أَهْلِهِ بِالْحَرْفِ وَالشِّكْلَةِ، إِذْ لاَ يُزَادُ فِيهِ وَلاَ يُنْقَصُ[33].

س – هَلْ يَجُوزُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُقْتَضَى القَوَاعِدِ الَّتِي انْتَهَى إِلَيْهَا تَفَنُّنُ أَهْلِ الْعَصْرِ وَلَوْ خَالَفَتِ النَّصَّ الصَّحِيحَ؟

ج – تَفْــسِيرُهُ بِمَــا يُخَالِفُ الثَّابِتَ مِنْ عِلْمِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَرَامٌ، وَرُبَّمَا يَجُــرُّ إِلَــى الْكُفْرِ، فَحُكْمُ الْقُرْآنِ وَحِكْمَتُهُ وَتَعْرِيفُهُ لِلْحَقَائِقِ بِالْمَعْنَى الْعَرَبِي وَالْمِــنْهَاجِ الْمُحَمَّــدِيِّ مُــسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ زَعَمَ اخْتِصَاصَ تِلْكَ

[33] ولا فرق في الحجية بين المتواتر والآحاد ما دام صحيحا على شرائط المحدثين.

الْمَعَانـــي وَالتَّعْرِيفَات بِإِقْلِيمٍ أَوْ زَمَانٍ دُونَ غَيْرِهِ فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، حَيْثُ نَسَبَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ مِنْ تَصْوِيرِ غَيْرِ الوَاقِعِ، إِمَّا قَصْدًا أَوْ جَهْلاً بِالْحَقَائِقِ، وَحَاشَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَمْرَيْنِ، وَقَدْ صَدَّقَهُ اللهُ فِي جَمِيعِ مَقَالاَتِه، أَيَخْفَى عَلَى اللهِ شَيْءٌ؟

{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[الملك؛ الآية:14]؟

وَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: **{لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}**[النحل؛ من الآية:44].

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ كُلَّ مَا خَالَفَ الدِّينَ مِنْ كَلاَمِ الْمُتَفَلْسِفَةِ مَظْنُونٌ لَهُمْ، وَذَلِكَ بِاعْتِرَافِهِمْ، وَإِنَّمَا تَمَسَّكُواْ بِهِ لِعَدَمِ الْمُعَارِضِ عِنْدَهُمْ؛ إِذ الدِّينُ عندهم أَدْنَى مِنْ دَرَجَةِ الظَّنِّيَّات، أَفَنَقْتَدِي بِهِمْ وَبَيْنَنَا الْفَارِق الأَكْبَر؟!

ثُمَّ الْمُشَاهَدُ ازْدِيَادُ التَّوَسُّعِ فِي التَّفَنُّنَاتِ الطَّبِيعِيَّة، وَانْتِقَالُ الأَفْكَارِ مِنْ حَيِّزٍ إِلَـــى حَيِّـــزٍ بِلاَ قَرَارٍ، أَفَيَتَبَدَّلُ تَفْسِيرُ كَلاَمِ اللهِ بِتَبَدُّلِ صِبْغَةِ الأَفْكَارِ عَلَى مَمَرِّ الأَعْصَارِ فَيَبْقَى الْقُرْآنُ لُعْبَةً بِيَدِ النَّاسِ؟ حَاشَاهُ وَيَأْبَى اللهُ ذَلِكَ[34].

---

[34] مـــا أحـــوج العقلانيين والعصرانيين الذين اخترعوا مناهج وتأويلات منحرفة لتفسير نصوص الوحـــي، ظـــنوا أن التطور المادي يقتضيها؛ ما أحوجهم إلى تأمل هذا الكلام والاستفادة منه، وهـــؤلاء يمثلون امتدادا لطوائف الباطنية الأقدمين الذين تأولوا نصوص القرآن والسنة بما يشبه اللعـــب، بـــل هو اللعب نفسه، وقد كان منهم منافقون أرادوا تحريف الإسلام بتحريف معاني نـــصوصه حين رأوا أن ألفاظها محفوظة، ومنهم جهال ضالون ظنوا جهالاتهم حقيقة وكشفا=

س – هَلْ يَخْلُقُ اللهُ شَيْئًا بِلاَ سَبَبٍ طَبِيعِيٍّ؟

ج – نَعَـــمْ يَخْلُقُ بِسَبَبٍ طَبِيعِيٍّ، وَبِلاَ سَبَبٍ طَبِيعِيٍّ عَلَى حَسْبِ مَا شَاءَ، وَبِهَذَا تَعَرَّفَ اللهُ إِلَى خَلْقِه كَمَا ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا. وَخَلْقُهُ بَعْضَ الأَشْيَاءِ بِـــلاَ سَـــبَبٍ طَبِيعِـــيٍّ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ دَلاَلَةً وَاضِحَةً عَلَى قُدْرَتِه تَعَالَى وَتَفَرُّدِه بِالتَّصَرُّفِ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُون.

فَمِـــنْ ذَلِـــكَ مُعْجِـــزَاتُ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي مَنْ كَذَّبَ بِهَا كَفَرَ؛ كَطُوفَانِ نُوحٍ وَحَـــيَاتِه الـــبَالِغَةِ نَحْـــوَ أَلْـــفِ سَنَةٍ، وَهَلاَكِ عَادٍ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، وَثَمُودَ بِالـــصَّيْحَةِ، وَقَلْبِ مَدَائِنِ قَوْمِ لُوطٍ، وَآيَةِ نَارِ إِبْرَاهِيمَ، وَعَجَائِبِ عَصَا مُوسَى، وَتَسْخِيرِ الرِّيحِ وَالشَّيَاطِينِ وَجَمِيعِ الحَيَوَانَاتِ لِسُلَيْمَانَ، وَخَلْقِ عِيسَى بِلاَ أَبٍ، وَإِبْرَاؤُهُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَإِحْيَاؤُهُ المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، وَرَفْعُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقِصَّةِ أَصْـــحَابِ الكَهْفِ، وَخَلْقِ آدَمَ بِلاَ أَبَوَيْنِ، وَالإِسْرَاءِ المُحَمَّدِيِّ، وَمِعْرَاجِه إِلَى السَّمَوَاتِ بِجَسَدِه يَقَظَةً وَرُجُوعِه فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَكَانْـــشِقَاقِ القَمَـــرِ لَـــهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا بَعْضُهُ لاَ تَقْتَضِيه الطَّبِيعَةُ أَصْلاً، وَبَعْضُهُ يَقَعُ مِثْلُهُ فِي الطَّبِيعَةِ نَادِرًا وَلاَ يَبْلُغُ إِلَى دَرَجَةِ مَا يَقَعُ مُعْجِزَةً.

=ربانيا، كما يحسب العقلانيون اليوم انحرافاتهم تنورا وتفسيرا منطقيا يجعل النص معاصرا للواقع، متماشيا معه، "وَمَنْ سَعَى فِي تَحْرِيفِه لَفْظًا أَوْ مَعْنَى يَفْتَضِحُ، وَعَجْزُهُ يَتَّضِحُ".

فصل

لاَ نَجْهَلُ وَلاَ نُنْكِرُ طَبِيعَةَ البَشَرِ وَذَوِي الأَرْوَاحِ الأَرْضِيَّةِ إِذَا ارْتَفَعَتْ خَارِقَةً لِكُـــرَةِ الهَـــوَاءِ لَهَا حَدٌّ مَحْدُودٌ لاَ تَتَعَيَّشُ فَوْقَهُ عَادَةً، لَكِنَّ مَشِيئَةَ اللهِ وَقُدْرَتَهُ تَـــنْقُضُ حُكْـــمَ الطَّبِيعَةِ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ {**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الـــنَّاسِ لَـــا يَعْلَمُونَ**}[يوسف؛ من الآية:21] وَهَذَا أَصْلٌ عَامٌّ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.

س – مَـــا الْقَـــوْلُ فِيمَنْ قَالَ: إِنَّ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ وَقَعَتْ بِوَجْهٍ طَبِيعِيٍّ لاَ بِخَرْقِ الْعَادَةِ؟

ج – جَرَيَانُ الطَّبِيعَةِ بِذَلِكَ، كَيْفَ يَتَّفِقُ دَائِمًا مَعَ غَضَبِ اللهِ عَلَى الْمُهْلَكِينَ مَثَلاً وَرِضَاهُ عَنِ النَّاجِينَ، فَإِذَا كَانَ مَجْرَى الْعَادَةِ مُسْتَمِرًّا فِي سَبِيلِهِ بِلاَ تَخَلُّفٍ فَأَيُّ حَاجَةٍ بِغَضَبِهِ تَعَالَى وَرِضَاهُ؟! إِذْ لاَ تَأْثِيرَ لَهُ عَلَى زَعْمِهِمْ.

وَمَعْنَـــى هَـــذَا الْقَوْلِ هُوَ: نِسْبَةُ الْعَجْزِ لِلْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَعَزْلُ الْخَالِقِ عَنِ التَّـــصَرُّفِ فِـــي مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ انْسِلاَخٌ مِنَ الدِّينِ بِلاَ شَكٍّ، فَقُدْرَتُهُ تَعَالَى لاَ يُوجِبُهَا سَبَبٌ، وَلاَ يَرْفَعُهَا سَبَبٌ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

فصل

وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ الزَّمَانَ كُلَّهُ نَهَارًا مُضِيئًا أَوْ كُلَّه ُ لَيْلاً مُظْلِمًا لَفَعَلَ، وَلِـــذَلِكَ شَرَعَ عِنْدَ كُسُوفِ الشَّمْسِ الفَزَعَ إِلَى الصَّلاَةِ وَالاسْتِغْفَارَ خَوْفًا مِنْ غَـــضَبِ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلاَلُهُ فَيَخْرِق حِسَابَ انْجِلاَئِهَا المَعْرُوف، فَيَسْتَمِرُّ الظَّلاَمُ عُقُوبَةً إِنْ لَمْ يَرْحَمْ عِبَادَهُ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ، فَفِي الآيَةِ الكَرِيمَة: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَـــلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّه يَأْتِيكُمْ بِلَـــيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيه أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72) وَمِنْ رَحْمَتِه جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيه وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} [القصص:72-73]. فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ قَائِلا قَالَ فِي مُقَابَلَةِ الآيَة: يَأْتِينَا بِالضِّيَاءِ وَاللَّيْلِ القَانُونُ الطَّبِيعِيُّ الَّذِي لاَ يَـــتَخَلَّفُ، يَعْنِـــي اخْتِلاَفَ الحَرَكَةِ فِي التَّقَابُلِ بَيْنِ الأَرْضِ وَالشَّمْسِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَنَا إِلَهٌ يَأْتِينَا بِه، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ دِينٌ.

فصل

وَبِقُدْرَتِـهِ تَعَالَى قَالَ لِلسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ: **{ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَـائِعِينَ}**[فصلت؛ من الآية:11]، فَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا مُذْعِنَةٌ لِسَطْوَةِ الأُلُوهِيَّةِ إِلاَّ مَنْ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ.

قَـالَ تَعَالَى: **{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}**[الرحمن؛ الآية:6] **{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}**[الرعد؛ من الآية:13]، **{وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّـا يُـسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}**[الإسراء؛ من الآية:44]، **{وَإِنَّ مِـنْهَا}** -أي مـن الحجارة- **{لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}**[البقرة؛ من الآيـة:74]. **{وَالـشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ}**[الأعراف؛ من الآيـة:54]، وَالطَّيْرُ فِي الْجَوِّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ[35] كَمَا يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ.

{هُـوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[يونس؛ من الآية:22] هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا، هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ المَطَرَ وَيُنْزِلُهُ، وَيُنْبِتُ النَّبَاتَ،

---

[35] يمـسكها: يحفظهـا من السقوط، بما يسر لها من القدرة على الطيران؛ فلا تسقط على الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها.

وَلَوْ لَمْ يَشَأْ لَمْ تَنْزِلْ قَطْرَةٌ، وَيُنْزِلُ المَاءَ وَلاَ يَنْبُتُ نَبَاتٌ، هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الزَّلْزَلَةَ وَالــصَّاعِقَةَ بِسَبَبٍ أَوْ بِلاَ سَبَبٍ، وَيُسَلِّطُهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهَا عَمَّنْ يَشَاءُ بِسَبَبٍ أَوْ بِلاَ سَبَبٍ.

فَهُوَ خَالِقُ الأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ لاَ يُؤَثِّرَ سَبَبٌ فِي مُسَبَّبٍ مَا أَثَّرَ.

فصل

وَهُوَ تَعَالَى الشَّافِي لِلْمَرِيضِ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ لاَ يَبْرَأَ لاَ يَقَعُ البُرْءُ، وَلَو انْتَظَمَ لَهُ عِلاَجٌ لاَ يَتَخَلَّفُ نَفْعُهُ عَادَةً بِتَدْبِيرِ أَلْفِ حَكِيمٍ[36].

وَلاَ يُقَــالُ -حَيْثُ لَمْ يَشَأ اللهُ بُرْءَ المَرِيضِ-: يَقَعُ الْخَطَأُ فِي العِلاَجِ أَوْ فِي اسْتِعْمَالِه، فَإِنَّ هَذَا إِيجَابٌ لِلأَسْبَابِ، وَفَكٌّ الحُكْمِ مِنْ يَدِ اللهِ إِلَى يَدِ الأَسْبَابِ، وَهُوَ الَّذِي نَذُبُّ الْمُسْلِمِينَ عَنِ السُّقُوطِ فِي اعْتِقَادِه تَقْرِيرًا لِلتَّوْحِيدِ.

س – مَا بِدْعَة العَقِيدَة فِي هَذَا العِلْمِ؟

ج – كُلُّ عَقِيدَةٍ حَدَثَتْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ فَهِيَ مُبْتَدَعَةٌ، وَمُعْتَقِدُهَا بِدْعِيٌّ فِيهَا وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي غَيْرِهَا.

س – هَــلْ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ اللهُ تَعَالَى بِمَا لَمْ يَثْبُتْ فِي الشَّرْعِ إِذَا كَانَ وَصْفَ كَمَال؟

ج – صِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ تَعَالَى تَوْقِيفِيَّةٌ، فَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ إِلاَّ بِمَا وَصَفَ بِه نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِه رَسُولُهُ.

س – مَــا الْحُكْمُ فِيمَنْ قَالَ كَلِمَةَ تَحْقِيرٍ فِي الأَنْبِيَاءِ أَوْ المَلاَئِكَةِ أَو الْكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ؟

ج – يُكَفَّر.

---

[36] أي: طبيب.

س – مَا حُكْمُ نَصْبِ الْخَلِيفَةِ فِي الإِسْلاَمِ؟

ج – حُكْمُهُ الْوُجُوبُ عَلَى الأُمَّةِ، وَلاَ يَجُوزُ خَلْعُهُ وَالْخُرُوجُ عَنْ بَيْعَتِهِ مَا دَامَ مُؤْمِنًا يُصَلِّي.

س – مَا القَوْلُ فِي الكَرَامَاتِ؟

ج – كَـرَامَاتُ الأَوْلِـيَاءِ حَقٌّ، يَخْرِقُ اللهُ لَهُمُ العَادَةَ إِكْرَامًا، وَلاَ إِشْكَالَ فِيهَا لِأَنَّهَا فَرْعُ الْمُعْجِزَاتِ[37]، نَالُوهَا بِاتِّبَاعِ الأَنْبِيَاءِ وَسِرِّ الاقْتِدَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ لاَ تَتَعَلَّقُ بِهَا هِمَّةُ وَلِيٍّ.

وَشَرْطُ الكَرَامَةِ أَنْ لاَ تَخْرِقَ حُكْمًا شَرْعِيًّا[38].

س – مَا هَذَا الاخْتِلاَفُ بَيْنَ أَئِمَّةِ المَذَاهِبِ وَشَرِيعَتُهُمْ وَاحِدَةٌ؟

ج – اخْـتِلاَفُهُمْ لاَ يَقْـدَحُ فِـي الشَّرِيعَةِ وَلاَ فِيهِمْ، وَلاَ إِشْكَالَ فِيهِ لِمَنْ تَبَـصَّرَ؛ وَذَلِـكَ أَنَّ النَّصَّ النَّبَوِيَّ الَّذِي بَلَغَ جَمِيعَهُمْ لاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ إِذْ كُلُّهُمْ يَتَحَـرَّى السُّنَّةَ، وَمَا لاَ نَصَّ فِيهِ يَجْتَهِدُونَ فِي حُكْمِهِ، فَتَارَةً يَخْتَلِفُونَ، وَالْحَقُّ لاَ يَتَعَدَّدُ، فَيَفُوزُ بِهِ أَحَدُهُمْ؛ فَمَنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ.

---

[37] فالكرامة للولي والمعجزة للنبي، والتفريق بينهما مهم.

[38] ولا يلـزم من جريان الخارق على يد المخلوق كونه وليّا، والدجال أظهر مثال؛ وليس خرق العـادة شرطا في الولاية، وإنما الولي؛ المؤمن التقي كما قال تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)}**.

وَحَـــيْثُ لاَ نَصَّ فَكُلٌّ عَلَى اجْتِهَادِهِ لِخَفَاءِ الْمُحِقِّ مِنَ الْمُخْطِئِ، فَإِنْ ثَبَتَ نَصٌّ مُعَاضِدٌ لأَحدِهِم فَالحَقُّ يَتَعَيَّنُ لَهُ.

وَلاَ يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ التَّعَصُّب لِقَوْلِ أَحَدٍ تَبَيَّنَ خَطَؤُهُ فِي ذَلِكَ الْقَوْلِ، وَلَكِن يُحْمَلُ قَائِلُهُ الأَوَّل عَلَى عَدَمِ بَلاَغِ الخَبَرِ لَهُ تَنْزِيهًا لِمَقَامِهِمْ عَنْ تَعَمُّدِ الْمُخَالَفَةِ، هَذَا هُوَ العَدْلُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَسَائِرُ الأَئِمَّةِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ.

فصل

المَوْتُ بالأَجَلِ المَحْدُودِ وَلَوْ مَقْتُولاً. وَعزْرَائِيلُ[39] هُوَ مَلَكُ الْمَوْتِ قَابِضُ الأَرْوَاحِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَهُ مَلاَئِكَةٌ أَعْوَانٌ.

س – مَاذَا يُفْعَلُ بِالْمَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِه؟

ج – إِمَّا فِي نَعِيمٍ وَإِمَّا فِي عَذَابٍ.

وَسُؤَالُ المَلَكَيْنِ حَقٌّ بَعْدَ أَنْ تَرْجِعَ لَهُ حَيَاةٌ يَفْهَمُ بِهَا الخِطَابَ، وَيَرُدُّ الْجَوَابَ.

وَيُقْعِدَانِهِ فِي قَبْرِهِ وَيَسْأَلاَنِه عَنْ دِينِه؛ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُجِيبُ بِاعْتِقَادِهِ فَيُنَعَّمُ وَيُقَالُ لَهُ: نَمْ نَوْمَةَ عَرُوسٍ، فَيَكُونُ فِي أَحْلَى نَوْمَةٍ نَامَهَا أَحَدٌ حَتَّى يُبْعَثَ.

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي فَيُعَذَّبُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ**}.[إبراهيم ؛ من الآية:27]

لاَبُدَّ مِنْ ذَلِكَ وَلَوْ تَفَرَّقَ جَسَدُهُ فِي أَمَاكِنَ مُتَبَاعِدَةٍ فَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يُذِيقَهُ ذَلِكَ كَيْفَمَا كَانَ.

---

[39] انظر التعليق رقم: (27).

وَقَــوْلُ المَلاَحِدَة: نَفْتَحُ الْقَبْرَ فَلاَ نَجِدُ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، جَهَالَةٌ، لِأَنَّ اللهَ يَــسْتُرُها، وَلَــوْ بَرَزَتْ أُمُورُ الآخِرَةِ لِلأَحْيَاءِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ البَارِي تَعَالَى فِي سَعَادَةِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْغَيْبِ، وَشَقَاوَةِ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ.

س – مَا الْبَرْزَخُ؟

ج – هُــوَ عَالَمٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَوْجُودٌ الآنَ، وَفِيهِ مُسْتَقَرُّ الأَرْوَاحِ وَمَا شَاءَ اللهُ.

فصل

وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَلاَ يَعْلَمُ وَقْتَهَا إِلاَّ اللهُ.

وَالْحَشْرُ وَتَفَاصِيلُهُ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّرْعُ العَزِيزُ حَقٌّ.

س – هل الحَشْرُ بِالجِسْمِ أَمْ بِالرُّوحِ دُونَ الجِسْمِ؟

ج – تُحْشَرُ الأَجْسَامُ بِأَعْيَانِهَا الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ الَّتِي تُحَاسَب.

س – هَـلْ يُسْمَعُ طَلَبُ الدَّلِيلِ فَنِّيًا[40] عَلَى عَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أُمُورِ الآخِرَةِ كَالْحَشْرِ بِالأَجْسَامِ وَغَيْرِهِ؟

ج – لاَ يُسْمَعُ؛ فَهُوَ طَلَبٌ لاَ يَتَوَجَّهُ أَصْلاً، وَلاَ يَقُولُهُ عَاقِلٌ ذُو إِدْرَاكٍ سَلِيمٍ، لِأَنَّ الغَيْبِيَّات هِيَ مِمَّا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ.

وَقَوَاعِد الفَنِّ مُنْحَصِرَة فِي الطَّبِيعِيَّات.

وَالعَوَالِم الأُخْرَوِيَّة مِنْ أَحْوَالِ المَوْتِ، فَمَا بَعْدَهُ إِلَى الجَنَّةِ أَوْ النَّارِ لَيْسَتْ مُتَوَلِّدَةً مِنَ الدُّنْيَا تَوَلُّدًا طَبِيعِيًّا بِانْقِلاَبِ الأَطْوَارِ المُتَنَاسِبَة، فَيُدْرِكَهُ العَقْلُ بِالْقَوَاعِدِ والقِيَاسَاتِ وَالتَّنْظِيرِ بِمَا يَرَاهُ مِنَ المُكْتَشَفَاتِ.

---

[40] أي حسيا أو ماديا.

وَكَـــذَا يُقَالُ فِي سَائِرِ الغَيْبِيَّاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا الشَّرْعُ؛ كَالْمَلاَئِكَةِ وَالجِنِّ، وَمَا فِـــي الـــسَّمَوَاتِ وَغَيْرِهَا لَيْسَتْ مُتَوَلِّدَةً مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي لِلْقَوَاعِدِ بِهَا ارْتِبَاطٌ، وَلِلْعَقْلِ فِيهَا مَجَالٌ[41].

ثُمَّ إِنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي دُفْعَةً وَاحِدَةً، قَالَ تَعَالَى: {**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَـــصَرِ أَوْ هُـــوَ أَقْـــرَبُ**}،[النحل؛ من الآية:77] وَقَالَ: {**بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ**}.[الأنبياء؛ من الآية:40]

وَالعَقْلُ لاَ يَمْنَعُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ دَاخِلاً فِي دَائِرَةِ مَا يُثْبِتُهُ أَوْ يَنْفِيه، وَلاَ يَعْـــرِفُهُ إِلاَّ مِنْ طَرِيقِ القُرْآنِ وَالخَبَرِ النَّبَوِي كَمَا قَدَّمْنَاه، فَظَهَرَ أَنَّ التَّصْدِيقَ بِتِلْكَ الأُمُورِ لاَ يَتَوَقَّفُ عَلَى إِثْبَاتِهَا فَنِّيًا إِلاَّ عِنْدَ مَنْ لاَ يَرَى للهِ قُدْرَةً تَامَّةً عَامَّةً، وَلاَ لِلْأَنْبِيَاءِ صِدْقًا، وَهُوَ صَرِيح الكُفْرِ، فَالْعَاقِلُ يَقُولُ: آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرَسُولِه.

س – مَا هِيَ عَلاَمَةُ السَّاعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى قُرْبِهَا؟

---

[41] لا يصح –شرعا ولا عقلا– قياس عالم الغيب على عالم الشهادة، لا سيما أن الأخبار صحت بما يثبت الفرق بينهما؛ ومن ذلك أن الإنسان تجري عليه يوم القيامة أمور لو حصلت له في الدنيا لمات منها، ومع ذلك يبقى حيا، والصراط يوم القيامة أدق من الشعرة وأمضى من السيف، ومع ذلك يسير عليه الناس، ونظائر هذا كثيرة، فما يسري في الدنيا من أحكام كونية لا ينطبق على الآخرة.

ج – طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابة مِنَ الأَرْضِ، وَظُهُورُ الدَّجال الكَذَّاب الْمُدَّعِي أَنَّه الرَّب، وَفِتْنَتُهُ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فَيَنْبَغِي تَكْرَارُ تَنْبِيهِ النَّاس عَلَى افْتِرَائِه. وَنُزُولُ نَبِيِّ اللهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام حَاكِمًا بِالشَّرْعِ الْمُحَمَّدِي. وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ وَرَاءِ سَدِّ ذِي القَرْنَيْنِ لِيُفْسِدُوا ثُمَّ يُهْلِكُهم اللهُ، وَغَيْر ذَلِكَ.

وَفِي الأَخِيرِ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ نَفْخَةَ الصَّعْقِ فَيَمُوتُ جَمِيعُ الأَحْيَاء، ثُمَّ نَفْخَةَ البَعْثِ فَيَحْيَا جَمِيعُ الأَمْوَات، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.

س – مَا القَوْلُ فِي سَدِّ ذِي القَرْنَيْنِ؟

ج – وَهُوَ ثَابِتٌ، وَإِنْكَارُهُ تَكْذِيبٌ لِلْقُرْآن، وَمَوْقِعُهُ فِي جِهَةِ القُطْبِ الشَّمَالِي كَمَا يَدُلُّ لَهُ سِيَاقُ الوَاقِعَةِ وَتَفَاسِيرُهَا العَتِيقَة، وَالْمُنْكِرُونَ لِوُجُودِه اسْتِنَادًا عَلَى عَدَمِ العُثُورِ عَلَيْهِ مَعَ كَثْرَةِ السِّيَاحَاتِ؛ فَأَوَّلاً: لَمْ يَقْطَعُوا تِلْكَ الجِهَةَ بِاعْتِرَافِهِمْ.

وَثَانِيًا: قَبْلَ الأَوَانِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَحْجِبَ اللهُ الأَعْيُنَ عَنْهُ وَعَمَّا وَرَاءَهُ، هُوَ القَادِرُ جَلَّ جَلاَلُه.

س – بَعْدَ البَعْثِ مِنَ القُبُورِ مَاذَا؟

ج – الحَشْرُ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَة: {**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**}[إبراهيم؛ من الآية:48]، ثُمَّ الشَّفَاعَةُ الكُبْرَى الْمُحَمَّدِيَّة العُمُومِيَّة،

لِفَصْلِ النَّاسِ بَعْدَ طُولِ وُقُوفِهِمْ حُفَاةً عُرَاةً، وَهِيَ المَقَامُ المَحْمُودُ المَوْعُودُ بِهِ فِي القُــرْآنِ، ثُــمَّ الحِــسَابُ، وَالمِيزَانُ، وَتَطَايُرِ الصُّحُفِ المُحْتَوِيَةِ عَلَى الحَسَنَاتِ وَالــسَّيِّئَاتِ، فَــلاَ تُخْطِئُ صَحِيفَةٌ صَاحِبَهَا، فَالسَّعِيدُ يُعْطَاهَا بِيَمِينِهِ، وَالشَّقِيُّ يُعْطَاهَا بِشِمَالِهِ: {**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**}.[سورة الزلزلة؛ الآية:7-8].

وَمَــنْ أَنْكَــرَ ذُنُــوبَهُ يَوْمَئِذٍ تَنْطِقُ أَعْضَاؤُهُ شَاهِدَةً عَلَيْهِ {**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**}.[سورة الكهف؛ من الآية:49].

وَهُــنَاكَ الحَــوْضُ المُحَمَّدِيُّ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لاَ يَظْمَأُ أَبَدًا، وَالصِّرَاطُ؛ وَهُوَ جِسْرٌ رَقِيقٌ عَلَى جَهَنَّمَ، وَالْمُرُورُ عَلَيْهِ مُخْتَلِفٌ، فَمِنْ نَاجٍ وَمِنْ عَاطِبٍ، ثُمَّ إِلَى الجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ.

س – مَا الأَعْرَافُ؟

ج – الأَعْــرَافُ سُــورٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَصْحَابُهُ مُطِلُّونَ عَلَى الجَمِيعِ، وَعَاقِبَتُهُمْ دُخُولُ الجَنَّةِ.

س – هَلِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ؟

ج – نَعَــمْ مَخْلُوقَتَانِ الآنَ، وَفِيهِمَا مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَالنَّعِيمُ وَالعَذَابُ مَحْسُوسَانِ حَقِيقَةً لاَ مَجَازًا.

فَفِـــي الـــنَّارِ: نَارٌ مُوقَدَةٌ، وَسَلاَسِلُ وَأَغْلاَلٌ وَغَيْرُهَا عَلَى صُورَةِ الْمُسَمَّيَاتِ بِتِلْكَ الأَسْمَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَتِ الأُخْرَى أَكْبَرُ وَأَفْظَعُ وَأَشَدُّ وَأَخْزَى.

وَفِي الجَنَّةِ: اللِّبَاسُ وَالطِّيبُ وَمُبَاشَرَةُ النِّسَاءِ، وَالأَكْلُ وَالشُّرْبُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِثْلَ صُورَةِ الَّذِي فِي الدُّنْيَا، لَكِنْ هُنَاكَ أَجْمَلُ وَأَنْقَى، وَأَكْمَلُ وَأَبْقَى.

فَبَيْنَ أَشْيَاءِ الدُّنْيَا وَأَشْيَاءِ الآخِرَةِ فَرْقٌ كَبِيرٌ لاَ يُحْصَى مِقْدَارُهُ.

وَأَعْلَى نَعِيمِ الجَنَّةِ: رُؤْيَةُ العَبْدِ رَبَّهُ بِالْبَصَرِ.

وَالْمُؤْمِنُ العَاصِي إِذَا مَاتَ بِلاَ تَوْبَةٍ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ إِلَى اللهِ؛ {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**}. [النساء؛ من الآية:48].

وَأَهْـــلُ الجَنَّةِ مُخَلَّدُونَ [فيها]، وَأَهْلُ النَّارِ مُخَلَّدُونَ فِيهَا إِذَا مَاتُوا كُفَّارًا، فَـــإِنْ كَانُـــوا مِنْ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

س – مَا القَوْلُ فِي الدُّعَاءِ؛ هَلْ يَنْفَعُ؟

ج – نَعَمْ يَنْفَعُ، وَالبَلاَءَ يَدْفَعُ.

وَالاسْـــتِعَاذَةُ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ نَافِعَةٌ نَفْعًا وَاضِحًا، وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يُتْرَكُ تَعَاطِي أَسْبَابِ الْمَنَافِعِ، وَتَجَنُّبُ أَسْبَابِ الْمَضَارِّ، وَإِعْدَادُ القُوَّةِ لِدَفْعِ البَلاَءِ بِقَدْرِ الاسْـــتِطَاعَةِ وَالقَلْـــبُ مُـــسْتَعِينٌ بِاللهِ؛ فَاليَدُ تَعْمَلُ، وَالقَلْبُ عَلَى اللهِ يَتَوَكَّلُ،

وَاللِّـــسَانُ يَدْعُـــو اللهَ فِي أَوقَاتِه، فَالشُّغْلُ الوَاحِدُ يَخْدِمُهُ الأَعْضَاءُ الثَّلاَثَةُ، وَلاَ تَنَافِي بَيْنَ وَظَائِفِهَا الثَّلاَث، هَذَا هُوَ الشَّرْعُ الكَامِلُ وَبِهِ يَتِمُّ المَأْمُولُ لِلآمِلِ.

في ذي الحجَّة سنة 1326 هجْرِيَّة.

حَرَّرَهُ محمد المكِّي ابن عزُّوز.